الفصل الثالث :

الإسلام والعقل

من فضول الكلام الحديث عن وجود علاقة بين الإسلام وبين العقل إذ كيف نتحدث عن دين خطابه الدعوي لا يقوم إلا على العقل ولا يتجه إلا إليه ولا يثبت صحته إلا من خلاله ، فبالعقل عرف الإسلام وبالعقل تحاور وبسبب وجوده يخاطب المسلم بالتكاليف الشرعية التي تسقط بعدمه ، لقد اعتمد القرآن منذ أول سورة أنزلت على رسول الله ﷺ على المنهج العقلي في الدعوة إليه والإيمان به لنقرأ الآية الأولى في سورة العلق ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ ثم تدعوه إلى التفكر في خلق نفسه لمعرفة قدرة خالقه ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ﴾ ثم تؤكد الأمر بالقراءة التي هي وسيلة العلم ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ ﴾ [العلق ١-٤] .

وإذا بحثنا في المفردات القرآنية التي تدعو للنظر والاستدلال والتفكير وأدواته نجدها على النحو التالي :

وردت البصيرة في أربع وخمسين آية ، والأبصار في ثمان وأربعين آية ، أما البصر فورد في ثمان آيات.

إن الدعوة إلى الإسلام موجهة إلى الذين يعقلون ، وقد تكرر هذا في ثمان وأربعين آية ، وإن مركز الإدراك وآثار التفكير تظهر في القلب ، وذكر في مئة واثنتين وعشرين آية، وفي الفؤاد ، وذكر في ست عشرة آية ، وتكرر ذكر كل من التفكُّر والتفقه في اثنتين وعشرين آية.

يظهر استقراء مفردات القرآن الكريم أن سبل المعرفة تعتمد أكثرها على الحواس ، وقد ذكر منها الرؤية في مئتين وخمس وثمانين آية ، والسمع في مئة وسبعين آية ، والنظر في قرابة مائة وعشرين آية.

وبمقارنة العدد الكبير لتكرر المفردات في السبل الحسية للمعرفة ، مع العدد القليل لتكرر السبل الغيبية للمعرفة ، يتجلى مدى تأكيد القرآن الكريم على الاستخدام السليم للوصول إلى العلم الحقيقي وفهمه .

يظهر تقدير القرآن الكريم للمعرفة والعلم من تكرار ذكرهما ، فقد ذكرت عرف في تسع عشرة آية ، وأدرك في خمس آيات ، وتكرر التذكر ومشتقاته في مئتين وعشر آيات.وذكر تعبير علم في أربعمئة وعشر آيات ، وأعلم في خمسين آية ، وذكر عليم من صفات الله في مئة وستين آية ، والعلم في مئة وستين آية ، واعلم في خمسين آية ، وذكر العلماء في عشرين آية يوضح بعضها مكانتهم المتميزة ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاؤُا ﴾ [فاطر ٢٨] .

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة١١] وذكر الفقه في عشرين آية ، والفكر في ثماني عشرة آية ، والحكمة في عشرين آية ، وكلها في سياق التقدير والإطراء.

علَّمنا الله تعالى كيفية استخدام هذا العقل الذي وهبه لنا سبحانه وتعالى بطريقة صحيحة فلا يحيد ولا يزيغ وإنما يصل للمقصود من خلقه واستعماله .. وتأمل قوله تعالى : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝٣ ﴾ [الأعلى١-٣] وهي أربع أدلة عقلية ترشد وتعلم وتبين كيفية تمرين العقول ورياضتها لكي تؤدي وظائفها كما يجب أن تكون.

دلالة الخلق :

ودليل الخلق هو من الأدلة التي بهت الله تعالى بها المجادلين في هذه المسألة وقد صاغها القرآن في أفضل صياغة فقال تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ ﴾ [الطور٣٥، ٣٦] .

وتجد أن القرآن الكريم قد صاغ مثل هذه الحجة على طريقة الأسئلة الاستنكارية لبيان فساد مجادلة من يجادل في هذه المسألة البديهية ولكن عن طريق العقل..

وكأنها تقول أنتم أيها المخالفون لا تختلفون في أنكم خلقتم جميعاً وهذا الخلق يحتاج إلى خالق فمن الذي خلقكم؟ هل العدم في عقولكم يخلق شيئاً ؟ فلا يجد الكافر في نفسه رداً على هذا الاستدلال العقلي السليم .

ولو تأملت في إعجاز الخلق ببعض التفاصيل تجد أنه على سبيل المثال في مسألة خلق الخلية أن معظم الحيوانات والنباتات تتكون من عدد هائل من الخلايا كما يتكون المبنى من مجموعة من الحجارة المرصوصة وهذه الخلايا سواء في جسم الإنسان أو في أجسام غيره من الكائنات الحية دائمة الانقسام وذلك لنمو الجسم أوتعويض ما يُفقد أو يموت من الخلايا.

ومن الإعجاز المدهش في هذا المقام أن جميع الخلايا تنقسم إلا نوعاً واحداً وهو الخلايا العصبية التي يتكون منها المخ والجهاز العصبي ، فإن عدد خلايا المخ عند ولادة الإنسان أو الحيوان لا تزيد عليه خلية واحدة حتى الوفاة لأنها لو انقسمت فلن يمكنها الاحتفاظ بشخصية الإنسان وسوف تتلاشى معالم الذاكرة في خلال ساعات قلائل ، فمن ذا الذي جعل للخلايا العصبية وحدها دون غيرها من بقية الخلايا هذا الثبات من الميلاد إلى المات؟

ومن العجيب أيضاً أنه يوجد في كل خلية من هذه الخلايا عدد من الصبغيات وهي أجسام دقيقة تحمل العوامل الوراثية وعدد هذه الصبغيات ثابت في خلايا كل نوع من أنواع الحيوان والنبات فعددها في القطط يختلف عن عددها في الكلاب وهكذا.

وفي داخل الخلية الإنسانية يوجد ستة وأربعون من هذه الصبغيات وعندما تنقسم هذه الخلية داخل الجسم البشري فإن كل خلية تحتوي على نفس العدد ، إذ لـو اختل هذا العدد لما أصبح الإنسان إنساناً.

ولكن هذه القاعدة تختلف في الخلايا التناسلية أي الحيوان المنوي للذكر والبيضة لدى الأنثى إذ أن عدد الصبغيات الموجودة في الخلية التناسلية لدى كل من الذكر

والأنثى يبلغ ثلاثة وعشرين فحسب ، أي نصف الأعداد الموجودة في بقية الخلايا لماذا؟ لأن الخلية الذكرية لابد أن تندمج مع الخلية الأنثوية لتكوين النطفة الأمشاج (الخلية الأولى في جسم الجنين) فإذا تم المزج بينهما رجع عدد الخلية الجديدة إلى العدد الأصلي وهو ستة وأربعون صبغياً نصفها من الحيوان المنوي ونصفها من البويضة.

ترى من الذي اختزل عدد هذه الصبغيات إلى النصف عند تكوين الخلايا التناسلية بالذات لكي تندمج فيعود العدد الأصلي في الخلية الواحدة وفقاً للقاعدة العامة في سائر الخلايا؟

دلالة التسوية :

تسوية الشيء إتقانه وإحسان خلقه وإكمال صنعته بحيث يكون مهيئاً لأداء وظيفته ويكون مستوياً معتدلاً متناسب الأجزاء.

وإذا كان الخلق يدل على وجود الله تعالى فإن دلالة التسوية على وجوده أظهر وأبين إذ التسوية أخص من الخلق ، وهذه التسوية ظاهرة في الكائنات كلها ولكنها في الكائنات الحية أظهر وفي الإنسان على وجه الخصوص أظهر وأبين. تأمل في خلق الأجنة وانظر أن الله تعالى خلق لها عيوناً وهي لم تزل في ظلمات الأرحام ، وخلق لأجنة الطير أجنحة وهي لا تزال داخل البيض ، والأجنة لاتستخدم العيون ولا الأجنحة في هذه المرحلة ، ولكن الخالق جل وعلا يهيئها بهذه العيون وبهذه الأجنحة لحياتها المقبلة.

نتأمل في خلق العين وكيف أن حدقة العين تتسع تلقائياً في الضوء الخافت وتضيق في الضوء الساطع لحاجتها إلى كمية كبيرة من الضوء في عملية الإبصار في الحالة الأولى وعدم حاجتها إلى ذلك في الحالة الثانية.

خلق الأجنة وإعجاز العين وقدرة البومة والنحل من دلائل التسوية

وانظر إلى البومة التي تستطيع رؤية الأشعة تحت الحمراء وهي أشعة حرارية لايراها الإنسان ، فتتمكن على سبيل المثال من أن تبصر الفأر في الظلام الدامس عن طريق هذه الأشعة التي تبتعث من جسده الدافىء وأيضاً قدرة النحل على رؤية الأشعة فوق البنفسجية وهي الأشعة الوحيدة القادرة على اختراق السحب ولأن النحل يعيش في مناطق يكسوها السحاب معظم أوقات السنة ورؤية الشمس ضرورية لمعرفة الحقول التي بها الغذاء ، وبهذا يتمكن النحل من رؤية الشمس من خلال السحب فلا تموت جوعاً .

دليل التقدير :

والتقدير كما يقول أهل العلم هو خلق كل شيء بمقدار وميزان وترتيب وحساب بحيث يتلاءم مع مكانه وزمانه وبحيث يتناسق مع غيره من الموجودات القريبة منه والبعيدة عنه.

فإذا كانت التسوية إعطاء كل شيء من الخلق والتصوير ما يؤدي به وظيفته على الوجه اللائق به ، فإن التقدير أن يكون بالقدر الذي ينفع في نفسه ولا يضر غيره ولايصطدم بالمخلوقات الأخرى ، وذلك يتم إذا ما وضع في مكانه الملائم وزمانه المناسب، وهذا التقدير ظاهرة عامة في كل شيء كما نبه القرآن على هذه الحقيقة إذ قال ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان ٢] وقال تعالى : ﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق ٣] وقال ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر ٢١] .

وعند التأمل في الكون وفي بعض الظواهر الكونية تجد آية التقدير متجلية واضحة، فعلى سبيل المثال :

* الشمس فلو أعطت نصف إشعاعها الحالي لتجمدت الحياة والأحياء ، ولو أنها زادت بمقدار النصف لكنا رماداً منذ زمن بعيد.

* لو كان قمرنا يبعد عنا ٢٠.٠٠٠ ميل بدلاً من بعده الحالي لكان المد يبلغ من القوة بحيث إن جميع الأرض تغمر مرتين في اليوم بماء متدفق يزيح الجبال من مواقعها.

* لو كان الأكسجين بنسبة ٥٠ ٪ أو أكثر بدلاً من ٢١ ٪ فإن جميع المواد القابلة للاحتراق في العالم تصبح عرضة للاشتعال لدرجة أن أول شرارة في البرق تصيب شجرة لا بد أن تلتهب الشجرة كلها.

* لو كانت مياه المحيطات حلوة لتعفنت وتعذرت الحياة على الأرض حيث إن الملح هو الذي يمنع حصول التعفن والفساد.

* لو كان محور الأرض معتدلاً بدل هذا الميل الحالي الذي مقداره ٢٣ درجة مع سكون الأرض ، لتجمعت قطرات المياه المتبخرة من المحيطات والبحار ونزلت في مكانين محدودين في الشمال والجنوب ولظل الصيف دائماً والشتاء إلى الأبد ولهلك الناس وجميع الأحياء.

بل لولا الموت ماذا يحدث ؟ قالوا : لو أن ذبابتين توالدتا هما وأولادهما دون موت فإنه بعد خمس سنوات تتشكل طبقة من الذباب حول الكرة الأرضية ارتفاعها ٥ سم . وهذا جنس واحد من المخلوقات فكيف إذا كانت المخلوقات كلها تتوالد ولا تموت.

ومن المعلوم أن كل الكائنات الحية تمتص الأكسجين وتلفظ ثاني أكسيد الكربون وأما النبات فهو على العكس يستعمل ثاني أكسيد الكربون ويلفظ الأكسجين ، فهناك تبادل مشترك بين الإنسان والحيوان من جانب وبين جميع النباتات والغابات من جانب آخر ، وبدونه تنتهي حياتنا في دقائق معدودة وترى من الذي قدر هذا التناسق وأقام هذا التوازن ووضع هذا النظام المحكم؟ ألا يدل ذلك على صفة العليم الخبير الحكيم جل وعلا ؟

الدين والعقل في الفكر الغربي :

استشكل الفكر الغربي الحديث والمعاصر علاقةَ العقل الإنساني بالدِّين الإلهي ، ووصل بذلك إلى وصف تلك العلاقة بالتنافر والتضادّ ، بل والتناقض ، لكنه انقسم في محاولة حله لهذه المشكلة المفتعلة إلى اتجاهين :

الاتجاه الأول : اتجاه متطرِّف غالٍ ، يهدف إلى القضاء على الدِّين ومصدره جملةً وتفصيلاً ، مع تأليهه العقل الإنساني . وهذا الاتجاه وإن كان قد ضعف تأثيره الفكري في فكر السواد الأعظم للشعوب الغربية ، إلا أنه قد مثله لفيف من مشاهير الفلسفة الغربية باختلاف اتجاهاتهم الفلسفية من وضعية ومادية تقليدية وماركسية.

ومن أشهر هؤلاء :

- دولباخ : وهو فيلسوف مادي من القرن الثامن عشر ، رفض كل الأدلة على وجود الله ، بناءً على أن الطبيعة في الكون كله في نظره كُلٌّ واحد بذاته لا يحتاج إلى غيره في تفسيره ، ولهذا أنكر الإلهَ ، حتى أنه كان يتباهى بأنه العدو الشخصي للإله.

- نيتشه : صاحب فلسفة القوة ، فقد تمادى في نزعته الإلحادية ، وقرّر أن الإنسان في لحظة تعسة من حياته اخترع والعياذ بالله خرافةً أسماها الله ، وظلَّ منذ ذلك الحين مكبّلاً بقصة من خلقه هو ، إلا أنه ليس من إله غير الإنسان لو واتته الشجاعة على أن يعرف قدره ، ولذلك أعلن في كتابه (هكذا تكلَّم زرادشت) موتَ الإله ، إذ يقول : (جميع الآلهة قد ماتت ، أو بأن الله قد مات وقد مثَّل هذا الاتجاهَ فلاسفةٌ كُثر غير ما ذكرت ، أمثال : ماركس ولينين وكونت وغيرهم ، إلا أن هذا الاتجاه أخفق إخفاقاً ذريعاً في محاولته حلَّ ذلك الإشكال الذي استشكله؛ لأنه أولاً لم يقم أي دليل على صحة ما ذهب إليه فليس هناك حجة لدى المنكرين للأديان سوى الإنكار نفسه ثانياً : الصدام مع الفطرة البشرية، ولذلك لم يكن مقنعـاً لافلسفـياً ولا منطقياً ، ثالثاً : التأثير الهدمي والسلبي لضمير الإنسان الذي لايرتدع إلا من القانون البشري والذي في غيبته يفعل كل ما يريد من إفساد بناءً على غيبة الجزاء) .

ولذا لم يكن أثره الفكري بقدر أثر الاتجاه الثاني؛ لأنه اتجاه لا يملك إلا لغة الرفض والإقصاء والتطرُّف .

الاتجاه الثاني : وهــو الاتجاه التوفيقـي الذي اعترف بطرفَيْ المشكلة التي استشكلها ، لكنه أقصى الطرف الثاني وهو الدِّين من ميدان المعرفة البشرية ، وربطه بالوجدان القلبي المجرد من معنى العقل والتعقُّل .

وقد بلور هذا الاتجاه الموقف العام للفكر الغربي المعاصر من الدِّين والوحي ، فقد أصبح مفهوم الدِّين عند الغربيين مثل مفهوم الأدب والفن القائم على معايير ذاتية ترفض إقامة البراهين العقلية على صِدْقها ، ويستحيل الإقناع بصِدْقها إقناعاً عقلياً . وقد ذهب إلى هذا الاتجاه كثير من الفلاسفة الغربيين على اختلاف اتجاهاتهم الفلسفية .

- **بسكال** : فقد كان يرى أن الإيمان الدِّيني لا يخضع للعقل ، بل يتعلّق بالوجدان القلبي؛ إذ يقول : « إن القلب هو الذي يستشعر الله لا العقل ، هذا هو الإيمان ، الله محسوس للقلب لا للعقل » .

- **إيمانويل كانت** : إذ تهدف فلسفته النقدية وتتمحور حول تأكيـد عجــز العقــل عن إثبـات الميتافيـزيقيا أي : الغيوب وأعظم تلك الغيوب في نظره مسألة وجود الله وحرية الإرادة وخلود النفس.

- برتراند رسل : فعلى الرغم من كونه ملحداً لا يدين بدين إلا أنه كان يؤكد على أن « الدِّين » لا يأتي بحلول مقنعة عقلية للمشكلات ، وإنما هو قائم على الإرغام لاالإقناع العقلي ، ففي سياق وصفه الفلسفة ، يقول : « .. . لكنها أي : الفلسفة كذلك تشبه العلم في أنها تخاطب العقل أكثر مما تستند إلى الإرغام ، سواءً أكان ذلك الإرغام صادراً عن قوة التقاليد أو قوة الوحي.. » .

- جورج سنتيانا : الذي يقول عن الإيمان الدِّيني إنه « غلطة جميلة أكثر ملاءمة لنوازع النفس ومن الحياة نفسها » ، فقد كان يميل إلى الدِّين شعورياً ، لكن يكفر به

عقلياً ، هذه المشكلة أرَّقته فدفعته إلى تأليف كتابه الشهير « العقل في الدِّين » ، ولا ريب أن من أعظم أسباب تبنِّي الفكر الغربي الحديث معاداةَ الدِّين أو إقصاءه من ميدان المعرفة البشرية ، هو التأثر السلبي بالدِّين الكنسي الذي أقام أصوله على الخصومة بين الدِّين والعقل ، يشهد لذلك تاريخه في حربه الشعواء وظلمه الفادح للعلم والعلماء ، فالمقالات التي تدعو إلى فصل الدِّين عن العقل كانت ردّة فعل للفكر الكنسي الذي صادر العقل ، واحتكر مجالات المعرفة ، وأقام اعتقاده على فصل الوحي عن العقل ، حتى أصبحت كلمة « الدِّين » في عصور الغرب الحديثة تعني عداوة كل تفكير.

لكن فلاسفة الغرب المعادين والمهمّشين للدِّين ، وقعوا في خطأ منهجي فادح، ذلك بتعميمهم الموقف الكنسي على كل الأديان ، وهم لم يَخبروا من الأديان إلا النصرانية ، ولم يعرفوا الدين النصراني إلا من رجال الكنيسة.

نظرة الإسلام للكون :

نظرة الإسلام للكون قائمة على التناغم والانسجام والتآلف بين الكون كله رطبه ويابسه ، متحركه وساكنه ، علويه وسفليه ، انسجام بين الروح والمادة ، والعلم والدِّين، والعقل والنقل ، والغيب والشهادة ، والدنيا والآخرة في سبيل الوصول إلى صلاح الإنسان ومن ثم صلاح الكون كله إذ إن الإنسان كما جعله الله هو المستخلف الأمين على هذا الكون الذي سخره الله له فبصلاح الإنسان صلاح الكون وفساده بفساده ، جعل الإسلام خطوات تقود لهذا الصلاح ، أولاً النظر ثم التفكر نبذ التقليد في الإيمان ثم الاختيار بالرفض أو بالتسليم الذي يقود للاستقامة.

في هذا السياق تأتي العلاقة التكاملية المترابطة بين العقل والدِّين الصحيح؛ إذ لايمكن أن تكون تلك العلاقة علاقةَ تنافر وتناقض؛ لأن مصدرهما واحد وهو «الله» سبحانه ، فالعقل وما اكتسبه مخلوقٌ لله ، والدِّين الصحيح وما شرعه من الله ، والعقل يمثِّل إرادة الله الكونية في هذا الباب ، والدِّين الصحيح يمثِّل إرادة الله

الشرعية، ويستحيل أن تتناقض الإرادتان؛ لأن مصدرهما واحد، قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وبناءً عليه؛ فإنه يستحيل أن يتعارض قطعيٌّ من الدِّين بقطعيٍّ من العقل، لكن إن قُدِّر أن يتعارض ظنيٌّ من الدِّين بقطعيٍّ من العقل أو بالعكس، قُدِّم القطعيُّ سواءٌ أكان عقلياً أو دينياً.

أما تقديم العقل مطلقاً على الدِّين فمنهج باطل؛ لأنه يتضمن القدح في العقل نفسه، إذ إن العقل شاهد على صحة الدِّين، ورفضُ المشهود له وهو الدِّين يستلزم القدح في صدق شهادة العقل، وهذا قدح في العقل.

والمقصود أن «الإسلام»، لا يجعل علاقةَ العقل بالدِّين موضعَ إشكال أصلاً؛ لأنهما في نظره متكاملان ومتسقان ومؤتلفان وذلك من وجهين:

الأول: أنَّ تكليف الإنسان الإيمانَ بأصول الدِّين من وجهة نظر الإسلام قائمٌ على إعمالٍ عقليٍّ؛ فمَنْ لا عقل له لا تكليف عليه، بل إن قيام الحجّة الدِّينية لا يكفي فيه مجرّد بلوغها، بل لا بد مع ذلك من فهم تلك الحجّة، والفهم إعمالٌ عقليٌّ سيما لمن عرضت له شبهة معتبرة تمنعه من اعتقاد ما هو مقتضى تلك الحجّة، وإلا كان معذوراً في تأوّل مخالفة الحجّة الدِّينية، ولذلك جعل الله مشاقة الرسول ﷺ ومخالفة سبيل المؤمنين بعد العلم بالحجّة الدِّينية وتبيّنها، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾
[النساء: ١١٥]

وهذا يبيّن أن الدِّين لم يقم على مجرد التسليم بلا براهين وفهم عقلي، بل إن مدار حجّة أدلة الدِّين قائمة على بلوغها وفهمها وإعمال العقل لإدراكها، فإذا كانت الغريزة العقلية والإعمال العقلي شرطاً في التكليف الدِّيني وبلوغ الحجّة الدِّينية امتنع أن تنافيَ وتناقضَ الدِّين؛ لأن ما كان شرطاً في الشيء امتنع أن يكون منافياً له.

الثاني : أن « الدِّين » أو « الوحي » ملازم للدلائل والبراهين العقلية ، ومتضمِّن لها ، ولذلك كان الدليل والبرهان العقلي قسماً من منظومة الأدلة الشرعية القائمة على الوحي الدِّيني ، وليس قسيماً لها .

وفي ذلك يقول ابن تيميّة : « الأدلة العقلية والسمعية متلازمة كل منهما مستلزم صحة الآخر ، فالأدلة العقليـة تستلزم صدق الرُّسل عليهم السلام فيما أخبروا به ، والأدلة السمعية فيها بيان الأداة العقلية التي بها يعرف الله وتوحيده وصفاته وصدق أنبيائه... » .

ولذلك ، فقد تضمَّن « الوحي الدِّيني » أنواعاً كثيرة من الأدلة والبراهين العقلية التي تقتضي بيانَ الحق وترسيخ اليقين في القلوب ، وهذه الأدلة العقلية هي البينات والتبيان الذي تضمّنه الوحي الدِّيني ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد٢٥] ، فإذا كانت الأدلة العقلية ملازمة للدِّين ومتضمنة فيه ، فإنه يستحيل أن تناقض الدِّين أو تعارضها والمقصود في هذا السياق بيان العلاقة المنسجمة بين العقل والدِّين بياناً مُجْملاً .

ونخلص من ذلك إلى نتيجتين :

الأولى : أن الصراع بين العقل والوحي صـراع مفتـعل لا حقيقة له ، وأن كل تصوّر قام على فكرة هذا الصراع تصوّر قائم على وَهْم.

الثانية : أن الصدق الدِّيني ليس قائماً على الإرغام والتسليم بلا برهان عقلي، بل هو قائم على وجدان باطني وأدلة وبراهين عقلية تفيد العلم واليقين؛ فمن خالف الوحي الدِّيني فقد خالف الضرورة العقلية ، ولذلك يقول الله سبحانه عن أهل النار : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك : ١٠] .